

سيناريوهات أمام مستقبل العراق .. وتحليل الرؤى القانونية والدولية والأمنية لجمهورية الإسلامية في إيران

جاويد منتظران - سعيد قرباني



حقوق النشر محفوظة © 2017

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تهّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

سيناريوهات أمام مستقبل العراق.. وتحليل الرؤى القانونية والدولية والأمنية للجمهورية الإسلامية في إيران

جاويد منتظران*، سعيد قرباني**

الملخص

ترتبط العراق شراكات مع الجمهورية الإسلامية في إيران أكثر من غيره من البلدان المجاورة، فلو تعرضت الجغرافية السياسية أو سلامة أراضي هذا البلد لأي مصير؛ فيمكن أن يهدد الجغرافيا السياسية والرؤى القانونية، والدولية، والأمنية للجمهورية الإسلامية في إيران؛ وبالتالي سيؤثر عليها تبعاً لذلك؛ ولهذا السبب، فإن الغرض الرئيس من هذا البحث هو شرح السيناريوهات المستقبلية للأزمة العراقية، وتحليل تأثيراتها المتبادلة على الصعيد القانوني، والدولي، والأمني للجمهورية الإسلامية في إيران. وبالنظر إلى العوامل وقوى الدفع الرئيسة وأهم أوجه حالات عدم الحسم، فإن سيناريوهات التطورات المستقبلية في العراق من وجهة نظر باحثي الدراسة هي كالاتي:

- سيناريو استعادة الأراضي العراقية المحتلة من قبل تنظيم داعش والتقسيم السلمي والعدال والديمقراطي للسلطة في العراق (العراق الديمقراطي).
- سيناريو الوحدة بين الأقليات العرقية والمذاهب في العراق، وارتفاع القوة الوطنية العراقية (العراق الموحد والقوي).
- سيناريو زيادة الخلافات بين الحكومة المركزية والسنة والأكراد، واندلاع حرب أهلية واسعة النطاق في العراق.
- سيناريو تقسيم العراق وتجزئته ثلاثة أجزاء.

وحيث دراسة آثار كل من هذه السيناريوهات على الوضع والرؤى القانونية، والدولية، والأمنية للجمهورية الإسلامية في إيران، اتضح أن سيناريو العراق الديمقراطي هو السيناريو الأكثر صواباً لإيران، وهناك اقتراحات تم عرضها في هذا الإطار.

*. ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة مالك الأشتر (الباحث المسؤول).

** دكتوراه في الدراسات المستقبلية والأستاذ المساعد في جامعة مالك الأشتر.

المصدر: المجلة الفصلية لدراسات السياسة العامة الاستراتيجية، الدورة ٧، رقم ٤٢، خريف عام ٢٠١٧.

١. المقدمة وشرح القضية

لم يكن العراق الجديد يمثل تهديداً عسكرياً للجمهورية الإسلامية، كما كان في الماضي ولكن ما يزال لديه الأرضية المحتملة التي بإمكانها نقل التوتر وانعدام الأمن إلى مجال الأمن القومي الإيراني. فقد تغيرت المسائل الأمنية تغيراً جذرياً في ظل الظروف الجديدة، لكن التحديات الناجمة عن منافسة مختلف المجموعات الإثنية والسياسية داخل العراق والآثار الضارة الناجمة عن عدم الاستقرار والحرب الأهلية والتطرف والانقسامات العرقية والدينية وفي نهاية المطاف احتمال تفكك هذا البلد، تعدد ضمن التحديات الجديدة التي تدخل إلى مجال الأمن القومي الإيراني عبر الزاوية الداخلية للعراق (برزكر، ٢٠٠٩: ٦٣).

وخلال السنوات التي أعقبت استقلال العراق، فإن وجود الأقليات المستقلة كالأكراد والسنة والشيعة في المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية من البلاد وكيفية الحفاظ على التوازن بينهم، أدى دائماً إلى توترات على الصعيدين الوطني والإقليمي؛ ونظراً لهذه الميزة، فإن القلق بشأن تقسيم العراق على مجموعات عرقية مختلفة وآثارها السلبية على الأمن القومي الإيراني، كان دائماً محور التركيز الرئيس في تحليل القضايا العراقية في مجال السياسة الخارجية الإيرانية (نعمت بور وتباك، ٢٠١٣: ١٧). وعلى الرغم من بعض الآمال في أن يصبح العراق تدريجياً دولة مستقرة وقوية بعد نظام صدام، إلا أن هذا البلد واجه ساحة واسعة من التحديات والأزمات خلال السنوات التي تلت عام ٢٠٠٣، منها: الوجود الأمريكي الموسع في العراق، والتدخل السليبي والمدمر لبعض بلدان المنطقة لخلق حالة من عدم الاستقرار، وظهور الجماعات المتمردة المسلحة والإرهابية، والمشكلات السياسية والبيروقراطية الناتجة عن نظام برلماني توافقي قائم على المحاصصة العرقية، والطائفية، والتوجهات المتباينة للأكراد أمام الحكومة المركزية، وحين بعض السنة العراقيين للعودة إلى حقبة البعث، كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى أزمات متعددة في البلاد (أسدي، ٢٠١٥).

وقد أدى ظهور تنظيم داعش ومن ثم بعض المشكلات والاحتجاجات التي قام بها الشعب والأحزاب السياسية والاستفتاء الذي أجري من قبل الأكراد للمطالبة بالاستقلال إلى تأزم الوضع في العراق بنحو أكبر مرة أخرى، وجعل مستقبل هذا البلد أكثر غموضاً؛ وبالنظر إلى أن الدراسات المستقبلية هي فرع مستقل يدرس منهجياً السيناريوهات المستقبلية للعراق ويتطرق لتحليل الرؤى القانونية، والدولية، والأمنية للجمهورية الإسلامية في إيران، ويوفّر لنا صورةً للمستقبل حتى تتمكن من اتخاذ قرار أكثر كفاءة استناداً إلى هذه الصور في الوقت الحالي؛ لأن من المهم اكتشاف المستقبل

وتشكيل مستقبل منشود. إن الدراسات المستقبلية تتحدث دائماً عن المستقبل، وهدف هذا الفرع هو اكتشاف أو إبداع، واختبار، وتقييم واقتراح مستقبل ممكن، محتمل ومفضل من أجل تشكيل مستقبل منشود؛ فالباحثون في مجال المستقبل يريدون أن يعرفوا ما المستقبل الذي يمكن أن يحدث لاحقاً (الممكن)، وما المستقبل الأكثر احتمالاً للحدوث (المحتمل)، وما المستقبل الذي ينبغي إعداده (المفضل) (حسن بختياري مقدم وآخرون، ٢٠١٣، ٩٣)؛ لذلك، طور المستقبليون طريقة تسمى "صناعة السيناريوهات" في الدراسات الاستراتيجية والسياسية (سلاتر، ٢٠٠٧، ٧١) ومن بين الأساليب المختلفة المختصة بالدراسات المستقبلية، ويعُدُّ أسلوب كتابة السيناريوهات من الأساليب الأكثر عملية (حسيني وباقري تشوكامي، ٢٠١٢، ٢٧-٢٨)؛ نظراً للأحداث والتطورات التي حصلت في العراق التي هددت الجغرافية السياسية والسلامة الإقليمية للبلاد. وبما أن عواقب أي تغييرات في الجغرافية السياسية والسلامة الإقليمية للعراق، تعدُّ مهمة بالنسبة للجمهورية الإسلامية في إيران (لأنها يمكن أن تهدد بنحو كبير أو تعزز الجغرافيا السياسية والرؤى القانونية، والدولية، والأمنية وتؤثر عليها في الوقت نفسه)؛ وبالتالي، فإن الغرض الرئيس من هذا البحث هو شرح السيناريوهات المستقبلية للأزمة العراقية وتقييم تأثيراتها المتبادلة وتحليلها على الصعيد القانوني، والدولي، والأمني للجمهورية الإسلامية في إيران.

٢. منهج البحث والتجميع

يتمثل منهجنا في البحث في الدراسات المستقبلية القائمة على كتابة السيناريوهات، ونقوم بوصف المستقبل المحتمل والممكن من خلال منهج كتابة السيناريوهات، وفي النهاية، نواصل الدراسة عبر المنهج الوصفي التحليلي. إن منهج تجميع الوثائق والمعلومات المعتمدة وآليته يتم من خلال المكتبات. وإن أهم الكتب المنشورة في هذا المجال، وعدد من المقالات والأطروحات، والتحليلات اليومية تعدُّ من مصادر هذه المقالة.

٣. كتابة سيناريو حول التطورات التي سيواجهها العراق

١,٣. خطوات كتابة السيناريو

لكتابة السيناريوهات عملية خاصة بها، ولها مراحل مختلفة تتم على النحو الآتي:

الخطوة رقم صفر: إنشاء التدابير اللازمة.

الخطوة الأولى: تحديد الجهات الفاعلة.

الخطوة الثانية: تحديد المكونات والعوامل المؤثرة.

الخطوة الثالثة: تحديد الدوافع.

الخطوة الرابعة: تحديد أوجه حالات عدم الحسم.

الخطوة الخامسة: رسم الرؤية العامة.

الخطوة السادسة: تحديد أوجه حالات عدم الحسم الرئيسة.

الخطوة السابعة: كتابة السيناريوهات.

ولإنشاء السيناريو يجب اتباع الأمور الآتية (خوش دهان، ٢٠٠٩، ص: ٣٩):

١- تحديد الموضوع الرئيس للسيناريو.

٢- تحديد العوامل الرئيسة.

٣- تحديد قوى الدفع.

٤- تحديد عدم حسم العوامل الرئيسة.

٥- تحديد منطق السيناريو ومعرفته.

٦- تأليف القصص.

٧- مراجعة السيناريوهات وتحديد أولوياتها.

وعلى هذا الأساس، سنواصل مراحل كتابة السيناريوهات خطوة بخطوة؛ حتى نحصل على السيناريوهات بطريقة علمية ومنهجية.

٢,٣. الخطوة الأولى: تحديد الجهات الفاعلة المؤثرة على تطورات العراق

في هذه الخطوة يتم تحديد الجهات الفاعلة الأكثر أهمية والأكثر تأثيراً ومراجعتها من خلال طريقة العصف الذهني. ثم يتم تقسيم الجهات الفاعلة فئتين؛ هما: تحت التأثير، وخارج السيطرة (بدرام وزالي، ٢٠١٥، ٢٠:٢٠). وفيما يأتي نقدم مجموعة من الجهات الفاعلة التي لها أهمية خاصة والتي هي نشطة في جميع السيناريوهات المستقبلية. والمجموعة الأولى تتألف من الجهات الفاعلة الموجودة خارج نطاق السيطرة والنفوذ، والحكومة المركزية في العراق لا تسيطر مباشرة على سلوكها أو ليس لها تأثير فعال على أعمالهم. فعلى سبيل المثال: أن الجهات الفاعلة التي لا تقع تحت سيطرة ونفوذ المشهد الداخلي العراقي، هي: أكراد العراق، وقوات البيشمركة والقوات التابعة لأسامة النحيفي، والقوى السنية أمثال حركة حراس الشام، والحشد الوطني، وبقايا حزب البعث في العراق. والجهات الفاعلة على الساحة الدولية، هي: تنظيم داعش، والولايات المتحدة. وتم تعريف المجموعة الثانية من الجهات الفاعلة في إطار التعاون بين الحكومة المركزية في العراق التي تنقسم على عدة فئات:

الفئة الأولى من الجهات الفاعلة المحلية تشتمل على الحرس الثوري، ووزارة الاستخبارات، ووزارة الخارجية، ووزارة الدفاع الإيرانية.

وتحتوي الفئة الثانية على الجهات الفاعلة العراقية، بما في ذلك الرئاسة العراقية، والجيش العراقي، وقوات الحشد الشعبي.

وتضم الفئة الثالثة الجهات الفاعلة الإقليمية الأخرى، بما في ذلك لبنان، وسوريا، وتركيا، وقطر، والمملكة العربية السعودية، والكيان الصهيوني.

وتجدر الإشارة إلى أن الجهات الفاعلة ليس لها دور مباشر في كتابة السيناريو، غير أنه ينبغي الالتفات إلى أن الجهات الفاعلة تؤدي دوراً مهماً في مراحل كتابة السيناريوهات والخطوات القائمة على كتابة السيناريوهات، مثل تحديد الدوافع والعوامل التي تؤثر على السيناريوهات المحتملة وصياغتها؛ لذلك، يجب أن نولي اهتماماً للجهات الفاعلة التي لم يكن لها دور مباشر.

٣,٣. الخطوة الثانية: تحديد العوامل الرئيسة المؤثرة على التطورات في العراق

في خطوة تحديد المكونات والعوامل البيئية الرئيسة المؤثرة في العراق، نستخدم المنهج المزدوج (فريق الخبراء وطريقة دلفي غير المكتملة)؛ في المرحلة الأولى: قمنا بتحديد عدد من العوامل وتصنيفها من خلال دراسة المصادر. وفي المرحلة الثانية، طلبنا من عدد من الخبراء والمختصين في مجال العلاقات الدولية والجغرافيا السياسية والأمن الوطني أن ينظروا في قائمة العوامل التي أعدناها مسبقاً، وأن يضيفوا العناصر المطلوبة أو أن يحدفوا العناصر الإضافية وغير المرتبطة. وفي المرحلة الأخرى، طلبنا من الخبراء تقييم الدرجات ومنحها لكل من هذه العوامل، استناداً إلى درجة أهميتها. وقام الخبراء بتصنيف العوامل الرئيسة كلاً على حدة. ثم بعد ذلك جمعنا القوائم ولخصناها. وعلى وفق قائمة الاستطلاع، قمنا بجمع العينات التي كانت أكثر تواتراً، وعدينا النتيجة -إذا لزم الأمر- كتصنيف نهائي في كل خطوة من عملية كتابة السيناريو. وإن العوامل التي يمكن أن تؤثر على التطورات الجيوسياسية وسلامة أراضي العراق، ترد في الجدول رقم ١.

الجدول رقم ١. العوامل المؤثرة على التطورات الجيوسياسية وسلامة أراضي العراق

هيكل النظام السياسي للعراق	هيكل التهديدات وأزمات الجغرافيا السياسية وموقعها في العراق
سياسة كردستان العراق	سياسات الحكومة المركزية في العراق
وجود القوات العسكرية التابعة للجماعات العرقية والدينية (الحشد الشعبي، والحشد الوطني، والبيشمركة)	مختلف الجماعات العرقية والأديان في العراق، والتماسك والاختلافات العرقية والدينية فيما بينها
النزعة الانفصالية لدى كل من الجماعات العرقية والدينية العراقية وتزايد النزعة القومية العرقية في البلاد	تضارب آراء الجماعات العرقية والدينية العراقية حول السلامة الإقليمية
الأزمة السورية	التدخلات الأجنبية والمشاريع الانفصالية في المنطقة (مشروع الشرق الأوسط الكبير والشرق الأوسط الجديد)
مساعدات الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي العسكرية والمالية إلى كردستان العراق	تعاون إيران عبر المهام الاستشارية ومساعدتها العسكرية للحكومة المركزية في العراق
الاحتلال التركي لشمال العراق	المساعدة المالية والدعم العسكري من الدول العربية السنوية وتركيا إلى الحشد الوطني

الحكومة - بناء الأمة والفيدرالية في العراق	تدخلات القوات العسكرية الدولية في العراق
بعثيو العراق	داعش والجماعات السلفية التكفيرية في العراق

مرحلة تحديد ومعرفة العوامل الرئيسة

في هذه المرحلة، قمنا بوضع العوامل المؤثرة نفسها على التطورات الجيوسياسية وسلامة أراضي العراق التي حصلنا عليها عبر الاستطلاع والدراسة في الخطوة السابقة، بين يدي ٢٠ خبيراً من خبراء المنطقة، وحددنا العوامل الرئيسة عبر طريقة دلفي واستخدام آراء خبراء المنطقة من خلال منهج قياس درجة أهمية كل واحد منها، حيث إن معدل الآراء من بين أرقام ٠ إلى ١٠٠ كان كالآتي:

الجدول ٢. تحديد العوامل الرئيسة ومعرفتها

درجة أهمية هذه العوامل (٠ إلى ١٠٠)	العوامل المؤثرة على الموقع الجيوسياسي والسلامة الإقليمية للعراق
٥٢	الهيكل والموقع الجيوسياسي للعراق
٥٦	هيكل النظام السياسي للعراق
٤٨	سياسات الحكومة المركزية في العراق
٨٤	سياسة كردستان العراق (المطالبة بالاستقلال و...)
٧٣	أوضاع داعش والجماعات السلفية التكفيرية في العراق
٣٢	بعثيو العراق
٦٤	التماسك والخلافات بين قادة مختلف المجموعات العرقية والدينية والجماعات السياسية في العراق

٧٢	أوضاع القوات العسكرية والمليشيات التابعة للجماعات العرقية والدينية (الحشد الشعبي، والحشد الوطني، والبشمركة)
٥٠	تضارب آراء الجماعات العرقية والدينية العراقية حول الجغرافيا السياسية والسلامة الإقليمية للبلاد
٧٨	تزايد النزعة القومية العرقية والنزعة الانفصالية في البلاد
٨٥	التدخلات الأجنبية والمشاريع الانفصالية في المنطقة (مشروع الشرق الأوسط الكبير والشرق الأوسط الجديد)
٧٠	الأزمة السورية
٢٦	تعاون إيران عبر المهام الاستشارية ومساعدتها العسكرية للحكومة المركزية في العراق
٦٢	مساعدات الولايات المتحدة وأوروبا العسكرية والمالية إلى كردستان العراق
٥٩	حالة المساعدة المالية والدعم العسكري من الدول العربية السنية وتركيا إلى الحشد الوطني
٧١	الاحتلال التركي لشمال العراق
٥٧	تدخلات القوات العسكرية الدولية في العراق
٥٤	الحكومة - بناء الأمة والفيدرالية في العراق

٣,٤. القوى الدافعة (الاتجاهات الكلية) للتطورات في العراق

١,٣,٤. قوى الدفع

المقصود من قوى الدفع هو أي شيء يطور المشهد ويغيّر البيئة الكلية (بدرام وزالي، ٢٠١٥، ٢٦)؛ مما يمكن أن يؤثر دائماً على العوامل الرئيسية ويقوم بإنشاء التغييرات التي تحتاجها هذه العوامل، وينشئ واقعة أو حدثاً بنحوٍ أسرع من زمنه أو أبطأ من الوقت الحقيقي مع قوة وشدة متفاوتتين، يعدان قوى دافعة. ويجب أن نضع في الحسبان دائماً أن قوى الدفع تكون بمنزلة المحركات التي تقوم بتغيير العوامل الرئيسية (ستاري خاه، ٢٠١٤، ٤٧). وبما أن الفهم الصحيح للمستقبل يتطلب تحديد القوى الدافعة الرئيسية؛ لذا ينبغي النظر في أنواع مختلفة من قوى الدفع الرئيسية (حسيني وبقري تشوكامي، ٢٠١٢، ٢٨)، فنحن بحاجة إلى البحث والدراسة لتحديد قوى الدفع وتعريفها، وفي هذا القسم - بعد الدراسة - سنذكر بعض التغييرات التي يمكن أن تجعل المشهد الجيوسياسي وسلامة أراضي العراق يواجهان تطوراً خطيراً؛ وتعد هذه التغييرات بأنها قوى الدفع.

قوى الدفع الموجودة على الساحة المحلية:

- خلق إصلاحات سياسية واقتصادية من قبل الحكومة المركزية، بحيث تقبل بها جميع الأحزاب والفئات في العراق؛ إذ يرتبط أحد الاختلافات السياسية في العراق بالقضايا السياسية والاقتصادية في البلاد، وكل من الأقليات العرقية والأديان تطلب من الحكومة المركزية أن يكون لها وجهة نظر ومصالح خاصة في المجالين السياسي والاقتصادي.

وإن البدء في إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية فعالة ومرحب بها من جانب جمهور الجماعات السياسية والعرقية والدينية، من قبل الحكومة المركزية في العراق يمكن أن يكون لصالح الدولة وتحديد ما يخص التوازن الداخلي للقوى المختلفة، وستؤثر هذه القضية أيضاً في الحفاظ على السلامة الإقليمية للعراق.

- الإعلان الرسمي عن استقلال كردستان، دون التوصل إلى اتفاق مع الحكومة المركزية: إن كردستان العراق يسعى دائماً إلى الإعلان عن استقلاله الرسمي عن الحكومة المركزية في العراق، وهذا جزء من آمال الأكراد العراقيين؛ إذا أعلن كردستان العراق استقلاله دون إذن من الحكومة المركزية في البلاد واستناداً إلى نتائج الاستفتاء، ستأخذ الأزمة الجيوسياسية والسلامة الإقليمية في هذا البلد تحولاً خطيراً.

- اشتباكات بين الحكومة المركزية العراقية وكردستان العراق وقوى المناطق السنية -الجيش والحشد الشعبي أمام الحشد الوطني والبشمركة، وقوات البشمركة بالمواجهة مع قوات الحشد الوطني السني-: هناك قوات عسكرية متنوعة في العراق ولديها اتجاهات عرقية ودينية، وهناك احتمال أن كلاً من هذه القوى سوف تتشابك مع بعضها بعضاً؛ من أجل بعض المصالح العرقية والدينية والإقليمية؛ ولذلك، فإن أي صراع بين القوات العراقية مع بعضها، سيعرض الجغرافيا السياسية والسلامة الإقليمية لهذا البلد لخطر أساسي.

- رغبة غالبية السنة بالحكم الذاتي وإنشاء إقليم سني: من الناحية الاقتصادية، يواجه العراقيون السنة أسوأ الظروف وأكثرها كارثة في العراق، فهم -في الأغلب- يسكنون المناطق الصحراوية، التي تخلو إلى حد كبير من الموارد الاقتصادية المهمة مثل النفط، وهذا الاعتماد الاقتصادي الخطير على بغداد، يمثل عقبة رئيسة أمام أي اتجاه نحو تفكك العراق. ومن الناحية الثقافية والاجتماعية أيضاً لا يتمتع أبناء السنة في العراق بمجدية للحصول على الاستقلال؛ لأنهم يعدون أنفسهم جماعة دينية مركزية ومهيمنة في العراق منذ عقود، ولا يستطيعون أن يتخيلوا لأنفسهم هوية مستقلة منفصلة، لكن الأوضاع والاتجاهات الأمنية والسياسية للسنة العراقيين، أدت إلى سلوكيات من قبل السنة على مدى العقد الماضي، حيث كان لها آثار سلبية للحفاظ على تماسك ووحدة البلاد.

قوى الدفع الموجودة على الساحة الإقليمية والدولية:

- معارضة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب للاستراتيجيات الأمريكية السابقة في المنطقة وانسحاب القوات الأمريكية من العراق:

بخلاف السياسات والاستراتيجيات الأمريكية السابقة في المنطقة، اتخذ الرئيس الأمريكي دونالد ترامب سياسة جديدة، إذ أوقف جميع السياسات والاستراتيجيات الأمريكية السابقة، ففي هذه الأثناء ربما يتم التخلي عن مشروع الشرق الأوسط الكبير وإنشاء الدويلات العرقية، ومن ناحية أخرى، يقوم بسحب القوات الأمريكية من الشرق الأوسط (غرب آسيا) بهدف خفض الإنفاق العسكري، وسيكون لهذه المسألة أثر عميق على الجغرافيا السياسية والسلامة الإقليمية لبلدان المنطقة، ولاسيما العراق الذي احتلته القوات العسكرية الأمريكية منذ سنوات.

- التدخل العسكري المباشر لإيران في العراق ومحاربة تنظيم داعش والجماعات السلفية التكفيرية:

إن التدخل العسكري المباشر لمحور المقاومة الشيعية -بما في ذلك القوات العسكرية الإيرانية والقوات التابعة لها تحت قيادة الجمهورية الإسلامية في إيران مثل حزب الله وغيره- بإمكانه أن يضع مجموعة متنوعة من الحالات المستقبلية أمام التطورات الجيوسياسية ووحدة أراضي العراق؛ فمن ناحية يمكن أن يؤدي هذا التدخل إلى استعادة العراق وزيادة قوة الحشد الشعبي في هذا البلد، ومن ناحية أخرى يؤثر سلباً على حفظ تماسك العراق ووحدة، وذلك من خلال إثارة ردود فعل الأطراف المحلية والإقليمية والدولية، وعبر الدعاية الإعلامية للدول العربية السنية في المنطقة والولايات المتحدة.

- اتفاق إيران وتركيا مع أكراد العراق: إذا كان بوسع الجمهورية الإسلامية في إيران وتركيا -بوصفهما البلدين المجاورين والمهمين والمؤثرين من وعلى العراق- أن يعملوا معاً من أجل التوصل إلى اتفاق مع بعض القادة والأحزاب الكردية العراقية فيمكن لهذا الأمر أن يؤدي دوراً مهماً في مستقبل وحدة الأراضي العراقية.

- المساعدات المالية والعسكرية من تركيا والدول العربية في المنطقة إلى القوات السنية بقيادة الأخوين النجيفي

(الحشد الوطني أو حرس نينوى): إذا استمرت الدول العربية وتركيا في تقديم مساعدات عسكرية ومالية واسعة النطاق للقوات السنية (الحشد الوطني)، فسيكون لهذه القضية تأثير كبير على مستقبل الجغرافيا السياسية والسلامة الإقليمية للعراق، بعد حل مشكلة استعادة الأراضي العراقية المحتلة من قبل داعش.

- استمرار إرسال الأسلحة والتدريب العسكري لقوات البيشمركة الكردية من قبل الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي:

في حال درّب مستشارون عسكريون وقوات من الولايات المتحدة وحلف الناتو قوات البيشمركة بحجة إعدادهم للتعامل مع مخاطر الإرهابيين التكفيريين، وواصلوا في هذا الإطار إرسال المساعدات المالية والعسكرية أيضاً -بما في ذلك أنواع الأسلحة والمعدات العسكرية والمدرعة- إلى كردستان العراق؛ فيمكن أن يزيد هذا الأمر من القوة العسكرية للأكراد؛ ولاستقواء الأكراد تأثير كبير على مستقبل الجغرافيا السياسية والسلامة الإقليمية للعراق.

- توسيع الأزمة السورية أم تسويتها (هزيمة أم بشار الأسد انتصاره):

إن لدى العراق إمكانية عالية جداً للتأثر المباشر من توسع انتشار العنف الطائفي في سوريا لعدة أسباب، منها محاذاته لسوريا، فضلاً عن وجود وشائج وخلافات دينية وثقافية وعرقية مع هذا البلد؛ لذا فإن توسع الأزمة السورية يمكن أن يكون له تأثيرات مهمة على السياسة الداخلية العراقية.

٥,٣. الخطوة الرابعة: حالة عدم الحسم المتأزمة في العراق

تؤدي قوى الدفع دوراً رئيساً في خطوة تحديد حالات عدم الحسم المتأزمة؛ ويمكن عدُّ تحديد حالات عدم الحسم المتأزمة بمنزلة قلب لعملية كتابة السيناريوهات (ستاري خاه، ٢٠١٤، ١١٧). إن مصمم السيناريو -ومن خلال طرح افتراضاته حول عناصر محددة نسبياً ورصد سلسلة من العلاقات- يستطيع معرفة بعض من حالات عدم الحسم المتأزمة (درويشي سه تلامي ونعمتي، ٢٠١٦، ٤٧).

ولتحديد حالات عدم الحسم المتأزمة، يستند تصنيف قوى الدفع المحددة في الخطوة السابقة إلى هذين المعيارين:

١. درجة أهمية هذه العوامل.

٢. درجة حالة عدم التيقن من هذه العوامل.

استخدمنا طريقة دلفي غير المكتملة لتحديد درجة الأهمية ودرجة عدم حسم قوى الدفع، حيث قمنا من خلال تلخيص آراء عشرين من الخبراء والنخب في المنطقة باستخدام منهج القياس؛ لتحديد درجة الأهمية، ودرجة عدم الحسم لكل واحد منهم، ويرد موجز معدل الآراء في الجدول رقم ٣:

الجدول رقم ٣: تحديد حالة عدم الحسم المتأزمة في العراق

قوى الدفع المؤثرة على الموقع الجيوسياسي والسلامة الإقليمية للعراق	درجة أهمية هذه العوامل (٠ إلى ١٠٠)	درجة عدم الحسم (عدم الوضوح وعدم القدرة على التنبؤ) (٠ إلى ١٠٠)
انعدام التماسك بين القوات العسكرية العراقية والأحزاب السياسية الشيعية	٩٠	٦١

٨٨	٨٩	انهيار الحكومة المركزية في العراق
٩٠	٩٥	الإعلان عن الاستقلال الرسمي لكردستان دون التوصل إلى اتفاق مع الحكومة المركزية في العراق
٩٢	٨٨	المواجهة والصراع بين قادة الجماعات السياسية والعرقية والدينية في العراق
٧٦	٧١	زيادة الترابط بين القوى السياسية والعسكرية الكردية والبيشمركة
٦٥	٥١	انهيار السلطة على المدن العراقية وفقدانها من الحكومة المركزية في هذا البلد
٨٧	٩١	التماسك والوحدة بين المجموعات السياسية والعرقية والدينية العراقية وتزايد النزعة القومية
٩٣	٩٢	اشتباكات بين الحكومة المركزية العراقية وكردستان العراق وبعض القادة السنة (الجيش والحشد الشعبي مقابل الحشد الوطني وقوات البيشمركة، واشتباك البيشمركة مع قوات الحشد الوطني السني بقيادة أسامة النجيفي)
٩١	٩٣	رغبة السنة بالحكم الذاتي وإنشاء إقليم سني
٦٠	٦١	اشتمتاز الجمهور السني العراقي من الفكرة الوهابية وجرائم الجماعات الإرهابية التكفيرية (داعش)

٧٢	٦٠	التدخل العسكري المباشر لإيران في معارك استعادة سلامة أراضي العراق
٨٥	٧٣	توسع الأزمة السورية أم تسويتها (هزيمة بشار الأسد أم انتصاره)
٨٧	٩٠	استمرار إرسال الأسلحة والتدريب العسكري لقوات البيشمركة الكردية من قبل الولايات المتحدة والنايو
٦١	٧٣	التواجد العسكري المتجدد والموسع للولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي في العراق
٥٠	٤٩	انسحاب القوات الأمريكية من المنطقة
٧٨	٧١	معارضة الرئيس الأمريكي ترامب للاستراتيجيات الأمريكية السابقة في المنطقة ولاسيما تجزئة دول المنطقة
٦١	٨٣	المساعدات المالية والعسكرية من تركيا والدول العربية في المنطقة للقوات السنية (الحشد الوطني)
٤٣	٧٦	الوجود العسكري التركي في مجال وحدة أراضي العراق واحتلال شمال البلاد (الموصل)
٨٩	٨١	اتفاق إيران وتركيا مع القادة الأكراد

٦,٣. الخطوة الخامسة: حالات عدم الحسم الرئيسية في العراق

تستند هذه الخطوة إلى قوى الدفع، ويتم فيها تحديد حالات عدم الحسم. وفي الجدول رقم ٤ يتم تحديد نسبة عدم الحسم لدى العوامل الرئيسية كمياً من خلال تلخيص آراء عشرين من النخب والخبراء؛ والهدف من استكمال الجدول هو تحديد العوامل الرئيسية الثلاثة الأكثر أهمية -اعتماداً على نسبة عدم الحسم من كل عامل رئيس- لتكون قادرين على استخراج السيناريوهات على وفق هذه العوامل.

الجدول رقم ٤ تحديد نسبة عدم الحسم لدى العوامل الرئيسية

الموقع الجيوسياسي والسلامة الإقليمية للعراق		
العوامل الرئيسية	نسبة عدم الحسم (عدم القدرة على التنبؤ بها ٠ إلى ١٠٠)	التوضيحات
التدخل الأجنبي والخطط الانفصالية في المنطقة (الشرق الأوسط الكبير والشرق الأوسط الجديد)	٨١	على الرغم من التخلي عن هذه الخطة شفهياً من قبل الولايات المتحدة، لكن الأمر كان مغايراً عملياً
سياسات كردستان العراق (المطالبة بالاستقلال)	٨٦	لن يتنازل الأكراد في أي ظرف من الظروف عن حلمهم القديم، ألا وهو الاستقلال وتشكيل دولة كردية مستقلة في المنطقة.

<p>إنه لمن المخاطر الكبيرة على مستقبل الجغرافيا السياسية والسلامة الإقليمية للعراق أن تصبح أية واحدة من المجموعات العرقية غير مكترثة بالقضايا الوطنية وأن تعد المسائل العرقية أو الدينية ذات أهمية بالنسبة لها.</p>	<p>٨٨</p>	<p>تزايد النزعة القومية العرقية والنزعة الانفصالية في البلاد</p>
<p>في حالة حل مشكلة داعش وطردهم من العراق، إلا أن الفكر السلفي التكفيري سيستمر في العراق، ويهدد السلامة الإقليمية للعراق.</p>	<p>٧٢</p>	<p>داعش والجماعات السلفية التكفيرية في العراق</p>
<p>إن وجود جماعات عسكرية تنسب إلى الجماعات الإثنية والأديان في العراق، وسلوكها على أساس الأيديولوجية العرقية الدينية سيكون أمراً خطيراً.</p>	<p>٨٣</p>	<p>أوضاع القوات العسكرية والمليشيات التابعة للجماعات العرقية والدينية (الحشد الشعبي، والحشد الوطني، والبشمركة)</p>
<p>إن أي تطور سياسي وعسكري في سوريا، سيؤثر على الجغرافيا السياسية والسلامة الإقليمية للعراق.</p>	<p>٦٦</p>	<p>حالة الأزمة السورية</p>
<p>إن احتلال تركيا للموصل بمنزلة جرس إنذار خطر على الجغرافيا السياسية والسلامة الإقليمية للعراق.</p>	<p>٧٤</p>	<p>الاحتلال التركي لشمال العراق</p>

<p>في الوقت الحاضر، اتحد قادة الأقوام والأديان العراقية ضد تنظيم داعش. فإذا تم حل هذه المشكلة، فإن العودة إلى مبدأ الاختلافات ستشكل تهديداً لموقع العراق الجيوسياسي.</p>	<p>٨٩</p>	<p>التماسك والخلافات بين قادة مختلف المجموعات العرقية والدينية والجماعات السياسية في العراق</p>
<p>إن استمرار المساعدات المالية والعسكرية الأوروبية والأمريكية لكردستان العراق وارتفاع قوة الأكراد، يشكّلان خطراً على موقع العراق الجيوسياسي والحفاظ على سلامة أراضي هذا البلد.</p>	<p>٦٤</p>	<p>مساعدات الولايات المتحدة وأوروبا العسكرية والمالية إلى كردستان العراق</p>

٧,٣. الخطوة السادسة: سيناريوهات التطورات المستقبلية في العراق

بالنظر إلى العوامل الرئيسة الثلاثة وقوى الدفع الرئيسة وأهم أوجه حالات عدم الحسم في العراق، فإن السيناريوهات الممكنة والمحتملة للتطورات الجيوسياسية والسلامة الإقليمية لهذا البلد من وجهة نظر واضعي هذا البحث، هي كالتالي:

١. سيناريو استعادة الأراضي العراقية المحتلة من قبل داعش والتقسيم السلمي والعادل والديمقراطي للسلطة في العراق، تحت عنوان: (عراق ديمقراطي).

٢. سيناريو الوحدة بين القوميات والديانات العراقية وارتفاع القوة الوطنية العراقية تحت عنوان: عراق موحد وقوي.

٣. سيناريو تصاعد الخلاف بين الحكومة المركزية والسنة والأكراد وبداية حرب أهلية واسعة النطاق في العراق، تحت عنوان: (عراق مبتلى بالحرب الأهلية).

٤. سيناريو تقسيم وتجزئة العراق إلى ثلاثة أشكال: أ) تقسيم العراق إلى دولتين إحداهما

عربية (شيعة وسنة بشكل عام) والثانية كردية. ب) تقسيم العراق على ثلاث دول: كردية وسنية وشيعية. ج) تقسيم كوندراي أو فدرالي للعراق إلى ثلاثة أجزاء: إقليم كردي، وسني، وشيعي، تحت مسمى: (عراق مفكك).

٤. استنتاج

– سيناريو استعادة العراق والتقسيم السلمي والعاقل والديمقراطي للسلطة في البلاد وآثاره على المجال القانوني، والأمني، والدولي للجمهورية الإسلامية في إيران.

هذا السيناريو هو السيناريو الأكثر صواباً للجمهورية الإسلامية في إيران، وفي حالة حصوله على أرض الواقع، فسيتم الحفاظ على الموقع الجيوسياسي والسلامة الإقليمية للعراق. وعلى الرغم من أن هذا السيناريو كان في طور التشكيل والاكتمال قبل التطورات والأزمة العراقية إلا أنه واجه تحدياً بعد امتداد الأزمة السورية إلى العراق.

ويستلزم التقسيم الديمقراطي أن يتناسب أولاً مع عدد سكان كل مجموعة، وأن يقوم على آلية ديمقراطية ثانياً؛ وهذا الإرساء للديمقراطية المستقرة في العراق سيكون مناسباً ومرغوباً فيه للحيران الديمقراطيين، أمثال إيران. فمن وجهة نظر مصالح الجمهورية الإسلامية لن يكون هناك خطر على إيران من تقسيم العراق إذ إن حلفاء إيران الطبيعيين (الشيعة) سيحافظون على مكائهم المتميزة والمهمة في العراق من حيث عدد السكان من جهة، ومن جهة أخرى سيكون العراق الديمقراطي أقل خطورة على إيران؛ فالعملية الديمقراطية سوف تقلل من احتمال ظهور مغامرات أشخاص مثل صدام حسين في العراق، الذي تسبب في أكبر ضرر لإيران بعد الثورة. وفضلاً عن ذلك، لم يعد هناك أية ذريعة لوجود أو تدخل في العراق من قبل جهات تكون خارج المنطقة.

– سيناريو الوحدة والتماسك بين القوميات والديانات العراقية وارتفاع القوة الوطنية للعراق وآثاره على إيران

إن الوحدة والتماسك بين الأقوام والديانات العراقية وازدياد القوة الوطنية في العراق هو أحد السيناريوهات المحتملة في التطورات المستقبلية للعراق. وهذا السيناريو مناسب للحفاظ على الموقع الجيوسياسي والسلامة الإقليمية للعراق، فضلاً عن فشل الخطط الانفصالية للمنطقة، مثل الشرق

الأوسط الكبير والجديد، ويتناسب مع المجال القانوني، والأمني، والدولي للجمهورية الإسلامية في إيران، إلا أنه لن يكون مرغوباً فيه. ولأن تقسيم العراق بأي شكل من الأشكال يعد أسوأ حالة لإيران؛ لذا فإن نشوء عراق موحد ومتماسك والحفاظ على سلامة أراضيه، سيكون ذلك في صالح السلامة الإقليمية للمنطقة وإيران. لكن تصور عراق غير منضبط، ومنخرط في الأزمات العرقية والدينية، سيوفر مجالات لنفوذ الجهات الفاعلة الإقليمية الأخرى، مثل إسرائيل والولايات المتحدة، في مناطق مثل كردستان العراق والمناطق السنية؛ ويؤدي ذلك إلى عدة خطوات في تشكيل الشرق الأوسط الكبير، بحيث إن أول درجة لنشوئه تتمثل في تقسيم العراق لكن الحفاظ على عراق موحد ومتماسك وقوي، مع إفشال الخطط والتدخلات الداعية لتقسيمه؛ سيزيل الآثار السلبية الناتجة عن الانقسامات الأيديولوجية والدينية والعرقية في العراق، التي تؤثر بدورها أيضاً على الأمن القومي الإيراني.

سيناريو تزايد الخلافات بين الحكومة المركزية والسنة والأكراد واندلاع الحرب الأهلية في العراق وآثارها على إيران

إن المقصود من الحرب الأهلية في الوقت الراهن، هو الصراع بين القوات الداخلية على الساحة. ولا نستبعد احتمال حدوث هذا السيناريو بين الحكومة المركزية في العراق والأقليات الكردية والسني إذا تم حل مسألة تنظيم داعش وطرده من الأراضي العراقية. لقد أثارت الحكومة العراقية المركزية مخاوف لدى السنة في السنوات الأخيرة، حيث إن معظم أعضائها من الشيعة؛ وبالتالي، يسعى السنة في العراق لكسب مزيد من الحصص في الحكومة وهناك احتمال بأن تتم متابعة هذه المطالب بطرق غير ديمقراطية. والقضية الأخرى هي أنه من المحتمل أن يواجه الأكراد لاحقاً مشكلات كبيرة مع الحكومة المركزية والسنة، حول عدة قضايا مثل: المطالبة بالاستقلال، والإيرادات النفطية، والمناطق المتنازع عليها مثل المنطقة الغنية بالنفط في كركوك.

إن دعم حكومة كردستان العراق وتعزيزها مالياً وعسكرياً على شكل معونات تم التبرع بها لمحاربة تنظيم داعش من قبل الدول الغربية في شكل شحنات من الأسلحة الثقيلة والخفيفة، فضلاً عن التبرع بملايين الدولارات، سيعزز احتمال أن يصبح القادة الأكراد بعد تسوية أزمة داعش في العراق، أكثر توهماً حول السلطة، في المستقبل غير البعيد، ويعلنون عن تمردهم واستقلالهم عن الحكومة المركزية في العراق، وإن كردستان العراق لا يستجيب لأوامر الحكومة المركزية ورئيس وزراء

العراق في الوقت الحالي، ولا ينفذ أوامر استعادة عائدات بيع النفط من إقليم كردستان للحكومة المركزية؛ لذلك، هناك احتمال من أن ينزلق العراق نحو حرب أهلية في السنوات المقبلة.

إن سيناريو الحرب الأهلية - وإن كان مؤيداً من قبل بعض جيران العراق - لم يكن في صالح أي من أهم جيران هذا البلد، بما في ذلك المجال القانوني، والدولي، والأمني للجمهورية الإسلامية في إيران، ويمكن أن يكون عاملاً في خلق عدم الاستقرار وربما تشديد الخلافات بين دول المنطقة، وأن يؤدي إلى صراعات عسكرية واسعة الانتشار في المنطقة.

سيناريو تقسيم العراق وتجزئته على ثلاثة أشكال:

(١) تقسيم العراق على دولتين إحداهما عربية (شيعة وسنة عموماً)، والثانية كردية.

(٢) تقسيم العراق على ثلاث دول: كردية، وسنية، وشيعة.

(٣) تقسيم كونغدرالي أو فدرالي للعراق على ثلاثة أقاليم: (كردية، وسنية، وشمعية).

يمثل تقسيم العراق وتجزئته - كونه بلداً إسلامياً وعربياً - ضرراً استراتيجياً للجمهورية الإسلامية في إيران من حيث الأيديولوجيا؛ إذ إن ذلك الأمر خسارة استراتيجية للجمهورية الإسلامية في إيران من وجهة النظر الجيوسياسية القانونية، والدولية، والأمنية.

٥. مقترحات لتحقيق السيناريو الأمثل (عراق ديمقراطي) بالنسبة للجمهورية الإسلامية

في إيران

- ينبغي للقوى والجهات الفاعلة في العراق - التي هي تحت تأثير الجمهورية الإسلامية في إيران - أن تتجنب التهديد المباشر وغير المباشر للبلدان السنية المتدخلة في الأزمة العراقية، مثل المملكة العربية السعودية.

- يجب على هذه القوى أيضاً أن تهيئ ظروفاً مؤاتية، حتى تكشف فيها الحكومة المركزية العراقية عن كفاءتها في عملية إعادة الإعمار، وكي يتم استبدال حكومة مركزية خدومة تضم ذوي الكفاءات وجادة في مكافحة الفساد بأجواء التمييز والفساد التي أثارت احتجاجات واسعة في البلاد، وأن يتم إظهار هذه الصورة لجمهير الشعب العراقي وجماعته العرقية والدينية.

- يجب على القوى كذلك أن تمنع الاشتباكات بين الحشد الشمعي، والبيشمركة، وحتى

الجماعة التي تسمى بالحشد الوطني أو حراس نينوى بأي طريقة ممكنة.

- ضرورة أن تعمل هذه القوى على إدارة العلاقات بين المجموعات السياسية والعسكرية التابعة لكل من القوميات والمذاهب في العراق (الشيعة والأكراد والسنة) بطريقة تقلل من أرضية اندلاع الصراعات الطائفية والعرقية في البلاد. ويستند أفضل شكل من أشكال إدارة المجموعات إلى إدارة الجماعات العرقية والمذهبية العراقية التي يمكن تحقيقها من خلال العمل في مجال سياسة الإدارة على نحو يمنع فيه نشوء فجوات متراكمة بين الأقليات والمذاهب؛ حتى يوضع إطار لتكوين الأطر اللازمة لتحقيق الاتساق والمشاركة والتفاعل فيما بينهما، والحد من الشعور بالتمييز لدى الجماعات العرقية والدينية، وإلى جانب رفع التهميش عنهما يجب أن تتم إدارة الأجواء بطريقة تلي مطالب المجموعات؛ ومن الضرورات الأخرى إنشاء مراكز تعمل على تقريب المذاهب والمجموعات العرقية في العراق، فضلاً عن استخدام فكر النخب العرقية والدينية في إدارة الشؤون الخاصة للمناطق الخاصة بالأقليات والمذاهب، وكذلك تنبيه الشعب العراقي والجمهور العام بمخطط التدخل الأجنبي لإدامة النزاعات العرقية والدينية في العراق.

- من الضروري أن تقيم الجمهورية الإسلامية في إيران علاقاتها على أساس تعزيز العلاقات على مستوى الدول وتعزيز حكومة مستقلة تقوم على «القومية الوسطية»؛ حتى يخلق هذا الإجراء شعوراً بالثقة لدى المجموعات العرقية والدينية الأخرى التي تؤثر على الموقع الجيوسياسي والسلامة الإقليمية للعراق؛ وبالتالي لا يكون لها دور سلبي وتدخل في قرارات هذه المجموعات.

- ومن الضروري أن تنصح الجمهورية الإسلامية في إيران بشدة الحكومة المركزية في العراق باستخدام القوات الشعبية والمتطوعين لتطهير المناطق التي ينتشر فيها التكفيريون بنحو متفرق من المناطق نفسها؛ حتى يتم منع أي إجراءات تنم عن سوء نية لتصفية حسابات عرقية أو طائفية في البلاد.